الوثائق. مفهومها، أنواعها وتقسيماتها
وأهمّيتها في الدراسات التاريخية

تعد الوثائق المحفوظة، بالإضافة إلى المخطوطات والشهادات المكتوبة والمذكّرات الشخصية لمن عايشوا الحدث، أهمّ مصادر المعرفة التاريخية والتراث الحضاري ؛ وهذا ما يجعلها المرجع الأساس للبحث العلمي، والأصول الّتي يعتمد عليها تدوين التاريخ.

المفهوم

الأرشيف، الّذي يعتبر مرادفًا للوثائق المحفوظة مشتقّ من اللفظة الإغريقية Archeion، ومعناها "مبنى عامّ تحفظ فيه الوثائق والسجلاّت". أمّا فيما يخصّ الأرشيف، فإنّه يعرّف بكونه مجموعة الوثائق القديمة المحفوظة من أجل إثبات حقوق عامّة أو خاصّة، وكذا من أجل كتابة التاريخ ؛ كما يحمل - ولا سيّما في عدد من اللغات الأوروبية - مدلول الهيئة - سواء أكانت عمومية أو خاصة، جمعوية أو شخصية - الّتي تتولّى مهمة حفظ الوثائق والسجلاّت والمستندات وغيرها بصفة منظّمة.

الوثيقة في اللغة العربية هي كلمة مشتقّة من الفعل وثق، ووثّق الأمر أي أحكمه ؛ فالوثائق هي كلّ ما يعتمد عليه ويرجع إليه لإحكام أمر وإعطائه صفة الإثبات أو كلّ ما يؤتمن عليه كوديعة فكرية أو تاريخية تساعد في البحث العلمي أو تكشف عن واقع معيّن ولها قيمة إثباتية أو علمية.

و من المنظور الارشيفي، بالإمكان أن نجمل مفهوم الوثيقة التاريخية كما يلي : من حيث الشكل، يمكن عدّ كلّ وعاء يحمل معلومات متفاوتة الأهمّية والفائدة، سواء كان ختمًا أو ورقة أو مطبوعًا أو شريطًا مسموعًا، وثيقة تاريخية ؛ ومن حيث المضمون، يجب أن تكون لها قيمة سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو إدارية أو مالية أو قانونية أو فنّية أو أدبية أو اجتماعية، كما يجب أن تتوافر فيها جملة من الشروط مثل كونها مصدرًا لإثبات الماضي، و أن تكون قد نشأت أثناء تأدية عمل منتظم وبشكل طبيعي، وأن ترتبط بعلاقة مع مجموعتها، لكن من جهة أخرى، فإنّه لا يشترط صدورها من جهة رسمية، على غرار الأرشيفات العائلية والشخصية، و مبدئيًا لا يشترط عليها - مثلها مثل باقي المصادر التاريخية - الموضوعية، الّتي يمكن أن نعبّر عنها بالحياد وعدم التحيّز، على غرار الأرشيف الكنسي (و نخصّ بالمثال في هذا الصدد كتابات آباء الفدية ومحاضر محاكم التفتيش).

DON CARLOS POR LA GRACIA DE DIOS Rey de Castilla, de Leon, de Aragon, de las dos Sicilias, de Jerusalen, de Navarra, de Granada, de Toledo, de Valencia, de Galicia, de Mallorca, de Sevilla, de Cerdeña, de Cordoba, de Corcega, de Murcia, de Jaen, de los Algarves, de Algecira de Gibraltar, de las Islas de Canaria, de las Indias Orientales, y Occidentales, Islas y Tierra firme del Mar Oceano, Archiduque de Austria, Duque de Borgoña, de Brabante, y de Milan, Conde de Abspurg, de Flandes del Tyrol, y de Barcelona, Señor de Vizcaya, y de Molina, &c. HABIENDO visto y examinado el Tratado de Paz con mi Corona, que ha firmado el Dey de Argel por si, y en nombre de toda la Regencia, á presencia de los Individuos que la componen, cuyo tenor es el siguiente:

Alabado sea Dios Todo poderoso.

EN el dia diez y siete de la Luna de Chavan 1200. de la Egira se ha concluido una perpetua Paz y amistad entre España y Argel, y en su consecuencia han hecho este Tratado de buena Harmonia, y con buena Voluntad por complacer al Gran Señor, de la una parte el Serenissimo y muy poderoso Principe DON CARLOS TERCERO por la gracia de Dios Rey de España, y de las Indias &c. y de la otra el Magnifico MAHAMET Baxa, Dey, Divan y Milicia de la Ciudad y Reyno de Argel.

Traduccion

de la Confirmacion del Tratado, la qual se ve al frente en idioma turco con la firma y sello del nuevo Dey Hassan.

Hassan Dey habiendo á los 10 de la Luna de Zilkidé del año de 1205 de la Egira (que corresponde á los doze de Julio de mil setecientos noventa y uno) tomado prosperamente la posesion de la Suprema Dignidad: Confirma con la delineacion de estos caracteres todos los Articulos del Tratado del difunto Muhamet Baxa, que actualmente subsiste, y fué contratado con la Corte de España: Y en fe de ello se firma á los 13 de la Luna de Zilhuggé del año de 1205, que corresponde á los catorze de Agosto del año de mil setecientos noventa y uno.

Hassan Dey, y Comandante de Argel.
(L.S.)

A. H. N.
ESTADO

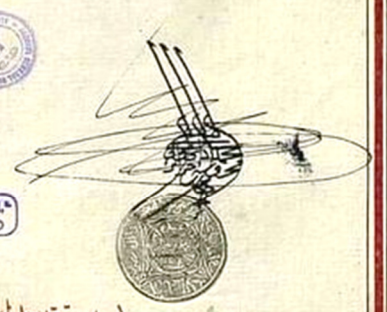

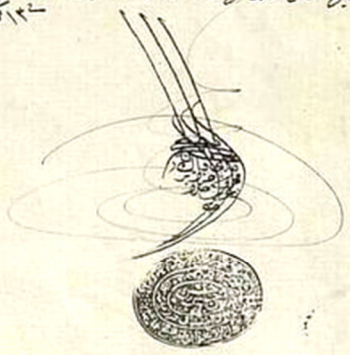

Leg. 3379, nº 3

الأنواع والتقسيمات

يمكن تقسيم الوثائق على أسس متعدّدة استنادًا إلى السمتين الرئيسيتين اللّتين تتميّز بهما أي وثيقة، وهما : السمة المادية الّتي تشمل الشكل العامّ والأمور الظاهرية الأخرى، و السمة المعنوية الّتي تتضمّن المحتوى الفكري للوثيقة ؛ وعليه، بالوسع أن نعتمد تقسيم الوثائق وفق :

① **نوع المادة المكوّنة للوثيقة** : الّتي قد تكون من الطين المشوي أو الكاغد أو البردي أو المعدن، أو من مواد أخرى، فيقال عندئذٍ وثيقة طينية أو بردية أو معدنية.

② **الموضوعات العامّة** : الّتي تقدّمها مجمل المعلومات المتضمّنة في الوثيقة، حيث تصنّف من حيث الصفة الغالبة لمضمونها إلى وثائق ذات موضوعات قانونية (تكون مستندًا أو دليلاً أمام القضاء) أو إدارية (تنظّم النشاط الإداري وتعبّر عنه) أو مادّية/مالية (تنظّم الشؤون المالية وتعبّر عنها) أو دبلوماسية (تتضمّن المعاهدات والاتفاقيات والتقارير والمراسلات الخارجية) أو تراثية (تتضمّن أدبيات وشواهد فنّية فلكلورية) أو عسكرية (تعبّر عن النشاط النوعي للجيش وقطاعاته) أو علمية (تشمل كلّ ما له علاقة بالعلوم والمعارف)، وغير ذلك من التصانيف.

③ **طريقة التدوين** : وهي أساليب تدوين المعلومات في الوثيقة، حيث قد تكون كتابات - مخطوطة أو مطبوعة - أو رسوم تشكيلية أو نقوش أو غير ذلك.

④ **الشكل العامّ** : الّتي قد تكون ألواح طينية أو برديات أو رقوق أو قراطيس (كواغد) أو أختام أسطوانية أو أواني أو غير ذلك.

⑤ **الزمان** : حيث يمكن تجميعها وفق الحقب الزمنية، كأن يجري تصنيفها إلى وثائق القرون الوسطى، وثائق فترة الآغوات، إلخ.

⑥ **المكان** : حيث يتمّ تقسيم الوثائق تبعًا لأماكن منشئها أو وجودها أو أيّة نسبة جغرافية يمكن أن تعرّف الوثيقة.

⑦ **الارتباط** : ونقصد بذلك ارتباطها بهيئات معيّنة مثل وثائق محاكم الشرعية، رصيد بيت المال، وثائق الفاتيكان، إلخ.

⑧ **الديوانية** : تصنّف الوثائق كذلك من وجهة نظر المؤرخين والأرشيفيين إلى وثائق ديوانية وأخرى غير ديوانية : فالأولى تكون صادرة عن ديوان أو مصلحة رسمية تتبع قواعد وأساليب ثابتة في صياغتها وطرق إخراجها وشكلها ؛ والثانية صادرة عن هيئة أو مؤسسة ليست لها قواعد أو أساليب أو أشكال واضحة وموحّدة.

⑨ **غرض المحتوى** : ويعنى به الغرض الّذي كان يرمي إليه طالب أو صاحب الوثيقة من كتابته إيّاها ؛ وتكون بأغراض متنوّعة مثل التحبيس أو الطلاق أو إثبات النسب أو طلب النجدة أو التجسّس أو التظلّم أو غير ذلك.

معروض بنده بودرکه

جزائر لیلرك فتح ایلدکاری وارهان ولایتنده شوکتلو

شجاعتلو عدالتلو افندمز پادشاه عالمپناه حضرتلری ایچون

ودولتلو عفتلو عصمتلو والده سلطان افندمز خضرتلری

ایچون ودولتلو عنایتلو مرحمتلو ولی النعم افندمز سلطانم

حضرتلری ایچون وقف واحیا اولنان اوچ جامع شریفلرده

خطبهٔ شریفه قرائت اولنمسیچون اذن علیه ایله وامر

جلیله لری عنایت واحسان بیورملق بابنده امر وفرمان

دولتلو عنایتلو مرحمتلو افندم سلطانم حضرتلرینکدر

هذه مناداة من سار عسكر امير الجيوش الفرانساوية

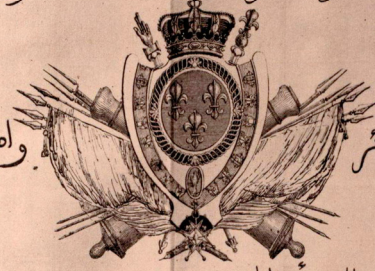

الى سكان الجزائر واهالى القبائل

بسم الله المبدئ المعيد وبه نستعين

يا ايها سادتى القضاة والاشراف والعلماء واكابر المشايخ والاختيارية اقبلوا منى اكمل السلام واشمل اشراف فلبى يزيد العز والاكرام

اما بعد اعلموا هداكم الله الى الرشد والصواب ان سعادة سلطان فرانسه مخدومى وعزة جنابه الاعلى عزّ نصره فد انعم علىّ بتوليته ايّاى منصب سار عسكر

ويا اعزّ احبة فائنا ومحبينا سكان الجزائر ومن ينتمى اليكم من شعب القبايل ان الباشا حاكمكم من حيث انه تجرّاء على بهدلة بيرف فرانسه المستحق

كل الاعتبار وافدم على اهانته فقد سبّب بجهله فقدا كل ما تهوعتيد ان يحلّ بكم من الكوارث والخرّات لكونه دعى عليكم الحرب من قبلنا بان عزّة

افتدار سلطان فرانسه دام ملكه نزع الله من قلبه مرحمته المعهودة ورأفته المعروفة المشهورة بلا بد ان هذا الباشا حاكمكم من قلة بصيرته وعماوة قلبه فد جذب على نفسه الانتقام المعوّل

فد دنا منه الغدر المفترعليه وعن قريب يحلّ به ما استحقه من العذاب المهين امّا انتم يا شعب القبايل اعلموا وتأكدوا يقينا انى لست آتيا للحال محاربتكم بعليل لا تزالوا آمنين وكمتمتين في اماكنكم

وتعملوا اشغالكم وكل ما لكم من الصنائع والحرف براحة سرّ ثم انى احقف لكم انه ليس مينا من يريد يخرّكم لا في مالكم ولا في اعيالكم ومهّا احسن لكم انّ بلادكم واراضيكم وبساتينكم

وحوانيتكم وكل ما هو لكم صغيرا كان او كبيرا يبقى على ما هو عليه ولا يتعرّض لشئ من ذلك جميعه احد من قومنا بل يكون في ايديكم دائما مامنوا بحدف كلامى ثم اننا نحض

لكم ايضا وتعهدكم وعدا حقيقا موكدا غير متغيّر ولا متاوّل ان جوامعكم ومساجدكم لا تزال محصورة محمورة على ما هى الآن عليه واكثر وانه لا يتعرّض لكم احد في امور دينكم وعبادتكم

فان حضورنا عندكم ليس هو لاجل محاربتكم وانّما قصدنا محاربة باشتكم الغى بدأ واخصم علينا العداوة والبغضاء ومهّا لا يخفى عليكم غاية تحكّمه وفيح خبعه المشؤم ولا ينبغى لنا ان

نطلعكم على اخلافه الذميمة واعماله الرديلة فانه واضح لديكم انه لا يسعى الّا على خراب بلادكم ودثارها وتضييع اموالكم وانفسكم ومن العلوم انه انما يريد ان يجعلكم من البقراء

المحوسين المبهدلين الخاسرين اكثر من المسخة عليهم فمن اعجب الامور كيف يخفى عنكم ان باشتكم لا يقصد الخير الّا لذاته والدليل كون احسن العمارات والاراضى والخيل

والسلاح واللبس والحلى وما اشبه ذلك كله من شانه وحده فيا ايها احبابنا سكان المغرب انه عزّ وجلّ ما سمح بان يصدر من باشتكم الطالم ما بعله من اعمال الخبث

والردى الّا انعاما منه سبحانه وتعالى عليكم حتى تحصلوا بهلاكه وبزوال سلطنته على كل خير ويفرج عنكم ما انتم فيه من الغمّ والشدّة واذ والحال هذه اسرعوا واغتنموا

الفرصة ولا تعمى ابصاركم عمّا اشرفه الله عليكم من نور اليسر والخلاص ولا تغفلوا عمّا فيه مصلحتكم بل استيقظوا لكى تتركوا باشتكم هذا وتتبعوا شورنا الذى يؤول

الى خيركم وصلاحكم وتحققوا انه تعالى لا يبقى فمه خرر خليفته بل يريد ان كل واحد من برايه يحوز ما يخصّه من وافر نعمه التى اسبغها على سكان ارضه

يا ايها اهل الاسلام ان كلامنا هذا صادر عن الحبّ الكامل وانه مشتمل على الصلح والموذة وانتم اذا شيعتم مراسيلكم الى اوردينا حينئذ نشكلم

واياهم والمرجو من الله تعالى ان محادثتنا مع بعضنا بعض تؤول الى ما فيه منافعكم وصلاحكم وعشمنا بالله انكم بعد ما تحققتم ان مقاصدنا

وغاياتنا البريدة ليست هى سوى خيركم ومنفعتكم تشيعوا لنا حصبة مراسيلكم كل ما يحتاج اليه عسكرنا المنحور من الذخائر ما بين

لحمين وسمن وزيت وعجول وغنم وخيل وشعير وما يشبهه وحين وصلت مرسلاتكم هذه الينا بحالا ندفع الثمن جلوسا نقدية

على ما تريدون واكثر هذا واما ان كان منكم معاد الله خلاف ذلك حتى تختاروا محاربتنا ومقاومتنا اعلموا ان كل ما يصيبكم

من المكروه والشرّ انما يكون سببه من جهتكم فلا تلوموا الّا انفسكم فايقنوا انه خدّ اردتنا فليكون عندكم محققا

ان عساكرنا المنصورة تحيط بكم بايسر مرام ودون تعب وان الله يسلطها عليكم بانه تعالى كما انه يامر من يجعل لهم النصر والظفر

بالرحمة والمسامحة على الضعفاء المظلومين هكذا يحكم باشدّ العذاب على المفسدين في الارض العاثين على البلاد والعباد فلا بدّ

انكم ان تعرّضتم لنا بالعداوة والشرّ هلكتم عن آخركم هذا ايها السادة ما بدا لى ان اكلمكم به ممحو نصيحة منّى اليكم

فلا تغفلوا عنه واعلموا بان صلاحكم انما في قبوله والعمل عليه وان هلاككم لا يردّه عنكم احد ان اعرضتم عمّا نصحتكم وانكرتكم به

وايقنوا يقينا مؤكدا ان كلام سلطاننا المنصور المحبوك من الله تعالى غير ممكن تغييره لانه مقدّر والمقدّر لا بدّ ان يكون والسلام

على من سمع واطاع

أهمية الوثائق في الدراسات التاريخية

لقد أورد لانغلوا وسنيوبوس أنّ "**التاريخ يصنع من الوثائق، فالوثائق هي الآثار الّتي خلّفتها أفكار السلف وأفعالهم**" مضيفين أنّه "**حيث لا وثائق، فلا تاريخ**" ؛ وأفاد فوستل دُه كولنج ذات الشيء بقوله أنّ "**لا تاريخ بدون نصوص**"، إذ أنّه "**علم لا يتخيّل، بل يرى ؛ وهو نظير كلّ علم ينظر إلى الأحداث ويحلّلها ويقارن بينها ويحقّق الروابط القائمة بينها. والمؤرّخ يبحث عن الحدث ويدركه بدراسة النصوص بإمعان ودقة، والطريقة هي واحدة في كلّ علم مؤسّس على الملاحظة الدقيقة**".

نخلص من هذه التعريفات والتحليلات إلى أنّ كتابة التاريخ مرهونة إلى حدّ كبير بمدى توافر وثائق بشأنه، وبمدى الموثوقية الّتي تحقّقها، كما أنّها تعمّم مفهوم الوثيقة على كلّ الآثار الّتي يخلّفها الإنسان في ماضيه. على أنّ هناك مقاربة نسبية لهذه المعرفة الّتي تتحقّق من خلال دراسة الوثائق ؛ وذلك بتقديمها على أنّها لا توصل إلى اليقين، بل تقوّي الافتراضات. وفي هذا الصدد، يؤكّد مارو بأنّه "**ينبغي على المؤرّخ أن يستخلص الحقيقة التاريخية من الوثيقة، ولكن هذه الأخيرة لا تثبت بشكلٍ قطعي حدوث الواقعة** [كما تمّ سردها]، **إذ أنّ النقد لا يمكن أن يحدّد إلاّ المصداقية الّتي تستحقّها شهادة الوثيقة... ولكن إذا تمكننا من تجميع شواهد عديدة... فإنّ احتمال حدوث الواقعة** [كذلك] **يصبح كبيرًا، وينتهي بالوصول إلى المعرفة اليقينية**".

فضلاً عن ذلك، تبقى الوثيقة في ذات الآن موضوع الماضي وأداة المؤرّخ والدليل على علمية التاريخ : فهي موضوع الماضي من حيث كونها تنتمي للماضي ومن مخلفاته وتشهد عليه ؛ وهي أداة تأريخ من حيث كونها المادة الأولية الّتي يبني المؤرّخ التاريخ بواسطتها ؛ وهي دليل علمية التاريخ من حيث إنّ المعرفة التاريخية لا تكتسب مشروعيتها، إلاّ عبر الصرامة المنهجية الّتي يتمّ إعمالها في دراسة الوثائق وتحليلها.

ولا تتوقّف أهمّية الوثائق عند النقاط المذكورة، إذ بالوسع إضافة الآتي :

❶ تعتبر الوثائق من أصدق المصادر التاريخية نسبيًا مقارنةً بغيرها من المصادر.

❷ الوثائق لها دور أساسي في إثبات الحقوق، وبواسطتها أيضًا يمكن استعادتها.

❸ الوثائق تشكّل رصيدًا تراثيًا معتبرًا كونها شواهد على السمات الحضارية لحياة الشعوب قديمًا وحتّى زمنٍ قريب.

❹ تتضمّن الوثائق في ثنايا سطورها أغلب الأحيان الكثير من الحقائق، الّتي تسدّ الثغرات الناقصة وتسهم في تصحيح الأخطاء والمغالطات.

❺ تضطلع الوثائق بدور مميّز في ربط الماضي بالحاضر، وتساهم بذلك في اتّخاذ القرارات السليمة والاستشراف.

❻ باعتبارها ذخائر، تساهم الوثائق في حفظ ذاكرة الأمّة وتاريخها.

❼ الوثائق تنفرد عادةً بإفادات تاريخية متنوّعة، قد تكون غير معروفة البتّة في المصادر الأخرى، فتكشف عن معلومات جديدة أو أحداث مجهولة يجلّيها شاهد عيان أو اقتباسات من وثائق أصلية صارت ضائعة أحيانًا.

. 14 - 19 Juin

Vieux Scheik de tribu venu au Quartier Général
de Sidi el Kerach le 17 Juin et renvoyé le 18 avec de bons traitements

Il a mon qu'affaire du 19 et resta muet avec sa tribu.